وزارة التعليم العالـــي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الآثار

تقرير تخرج لنيل شهادة الليسانس في علم الآثار الموسوم بـ:

توقيعات الحرفيين على المعالم المعمارية بتلمسان في القرن (08هـ / 14م)

-دراســـة توثيقيـــة-

من إعداد الطالبة :

➢ بوشعيب سميحة

تحت إشراف الأستاذ:

➢ د.شرقي الرزقي

السنة الجامعية 2018 - 2019

وزارة التعليم العالـــي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الآثار

تقرير تخرج لنيل شهادة الليسانس في علم الآثار الموسوم بـ:

توقيعات الحرفيين على المعالم المعمارية بتلمسان في القرن (08هـ / 14م)

-دراســـة توثيقيـــة-

من إعداد الطالبة :

➢ بوشعيب سميحة

تحت إشراف الأستاذ:

➢ د.شرقي الرزقي

السنة الجامعية 2018 - 2019

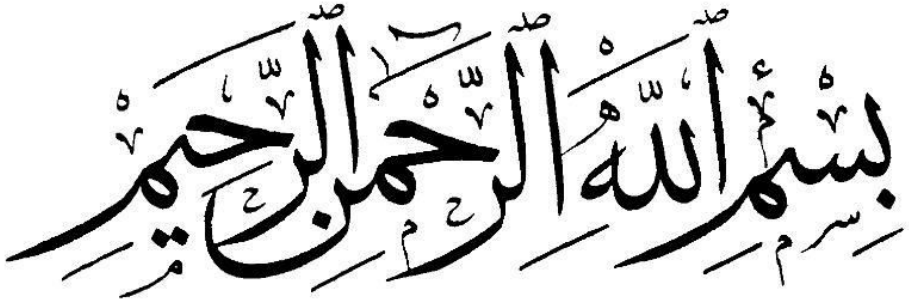
بسم الله الرحمن الرحيم

توقيعات الحرفيين على المعالم المعمارية

بتلمسـان فـي القـرن (08هـ / 14م)

–دراسـة توثيقيـة–

إهـــــداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل أسمه بكل افتخار.. أرجو من االله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد..

أبي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب والحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي.. وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب..

أمي الحبيبة

إلى مَن رافقوني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعهم سرت الدرب خطوة بخطوة وما زالوا برفقتي حتى الآن، إلى شموع متقدة تنير ظلمة حياتي إخوتي وأخواتي: أمينة، وأحلام، وسمير، ومحمد، رفقة دربي في هذه الحياة، معكم أكون أنا وبدونكم أصير لا شيء.

إلى صغيرة العائلة حفظها الله هبة الرحمن رفيدة

إلى أمي الثانية خالتي العزيزة وزوجها أطال الله في عمريْهما وإلى أبنائها نور الهدى، وحسان، وعبد الصمد.

إلى روح خالتي الحبيبة تغمدها الله برحمته، وأسأل الله أن يدخلها فسيح جنّته.

إلى الإخوة والأخوات، إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت.. "أصدقائي".

إلى كل أساتذة وطلبة قسم الآثار بجامعة تلمسان.

كلمة شكر وعرفان

"كن عالما.. فإن لم تستطع فكن متعلّما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم".

أول من يشكر ويحمد أناء اللّيل وأطراف النهار هو العلي القهار، واهب النّعم التي لا تعد ولا تحصى، والممد بالرزق الذي لا ينضب، ومنير الدّرب، والموفق لإنجاز هذا البحث، فله الشّكر والحمد، والثناء العظيم كما يجب.

أتوجه بعبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف: "**شرقي الرزقي**" على تحمله أعباء الإشراف بالرغم من انشغالاته الكثيرة، حيث لم يبخل عليّ بتوجيهاته المفيدة، ونصائحه السّديدة في سبيل إخراج هذا العمل في الصّورة التّي هو عليها، فأسأل له المولى عز وجل أن يجازيه عن كل حرف أمدني إياه، وأن ينير سبيله إلى العلم.

والشكر الجزيل موصول إلى طاقم المتحف العمومي الوطني للآثار الإسلامية بتلمسان وعلى رأسهم السّيد مدير المتحف، والباحث كحيلي حكيم لما قدموه لي من تسهيلات إدارية وتقنية في سبيل إنجاز الشّطر التّطبيقي من هذا البحث على مستوى تلك المؤسسة العمومية.

وإلى الصديق برجي لخضر لمساعدته على إنجاز العمل الميداني، وللزّملاء والزّميلات: مسارقي لمياء، وجلاس رانية، وقدور إلهام، وبوزيدي ثاني سفيان، ومعمري مصطفى.

كما أتوجه بخالص عبارات الشكر والامتنان إلى الأساتذة الذين أمدوني بمراجع قيمة حول موضوع البحث، وأخص بالذكر: الأستاذ الدكتور فتحي جراي بجامعة تونس، والأستاذ شيخي عبد الجليل، والدكتور عمر زعابة، إضافة إلى أعوان المكتبة بقسم علم الآثار، وإلى كلّ مَن ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث؛ فإلى هؤلاء جميعا أجدد شكري وامتناني مرّة ثانية.

مقدمة

مقدمة:

يُعدّ موضوع توقيعات الحرفيين على الآثار بنوعيْها الثّابتة (المعمارية)، والمنقولة (نتاج الفنون التّطبيقية، والفنون الجميلة) من المواضيع المنطوية على قيمة معرفية في غاية الأهمية للبحث العلمي المعاصر، لما تتضمنه من معلومات دقيقة حول هوية الحرفي، ورتبته الاجتماعية، ومكان مزاولة أنشطته القارّة والمتنقلة، ومراكز ترويج إنتاجه الحرفي، ومصادر تزوّده بمواد الخام، وغيرها من المعطيات المعرفية المتعلّقة بالتّاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والثّقافي، والتّكنولوجي للمجتمعات والأمم.

ونظرا لشساعة هذا الموضوع، وكثرة تشعباته الفرعية، سيُكتفي بدراسة عيّنة صغيرة جدّا منه، تمشيا مع حجم هذا البحث الذّي لا يتجاوز عتبة التّقرير الأوّلي، والغاية العامة المرجوة منه، ألا وهي: توثيق تلك التّوقيعات المخلّدة لإنتاج أصحابها منذ قرون خلت بشكل علمي ممنهج، كما يمكن أن يستنبط بوضوح من صياغة عنوان هذا التّقرير، المحدود بالإطار الجغرافي (مدينة تلمسان ونواحيها)، والإطار الزّمني، المقتصر من جهته على الآثار المعمارية وأثاثها في القرن الثّامنة (08) هجري، الموافق للقرن الرّابعة عشر (14) ميلادي، أي التّوقيعات المسجلة على آثار معالم الزّيانيين، وأبناء عمومتهم المرينيين بتلك المدينة ونواحيها على وجه الدّقة والتّحديد.

وعليه يمكن إثارة الإشكالية الآتية: ما مدى إسهام دراسات توقيعات الحرفيين على المعالم المعمارية الإسلامية بمدينة تلمسان في إعادة تعقب حركات وِرش البناء، والتّنميق، والتّأثيث بنوعيها الثّابتة والمتنقلة بتلك المدينة، وتحديد هوّية ومنتوج الوِرش المحلّية من نظيرتها المتنقلة، الوافدة عليها من الأقطار المجاورة، كأفريقية الحفصية، وإقليم الأندلس في ظلّ حكم بنوا الأحمر، والمغرب الأقصى في ظلّ حكم بنوا مرين في إطار الوحدة الفنّية الإقليمية، التّي شهدتها عمارة هذه المنطقة من العالم الإسلامي، في الفترة الممتدّة ما بين القرنين (06 - 09هـ / 12 - 15م)، حيث صُبغت عمارة المنطقة المذكورة آنذاك بطراز معماري واحد جديد، أَطلق عليه الباحثون المعاصرون تسمية "الطّراز المغربي – الأندلسي"، فيما يعتبر القرن (08هـ / 14م) قمّة ازدهار هذا الطّراز المعماري الإقليمي المتميّز عن سائر طُرز، ومدارس الفنّ المعماري المنتشرة عبر أصقاع العالم الإسلامي الفسيح بمواصفاته الفنّية الخاصّة؟.

وبذلك يمكن القول أنّ الموضوع جديد، لم تسبق دراسته، وهو على قدر من الأهمية بالنّظر للغايات المرجوة منه، كما سلفت الإشارة إليها من قبل، وقد دفعنا إلى تناوله مجموعة من الأسباب الذّاتية والموضوعية أبرزها: إغفال هذا الموضوع من قِبل الدّارسين المحدثين، وفشل دراسات التّنميط التّقليدي لمواد الخام، وتقنيات البناء والتّنميق في تحديد ما أنجزته وِرش البناء والتّعمير المحلّية، وما أضافته إليه الورش المتنقلة، الوافدة على مدينة تلمسان من جهات أخرى يوم كانت مركز استقطاب إقليمي للحرفيين، والعلماء، والتّجار، والدّارسين في ظلّ النّهضة العمرانية والثّقافية التّي شهدتها تلك المدينة في أوج تقدمها وازدهارها، حيث يعتبر القرن (08هـ / 14م) قمّة ما وصلت إليه من رقيّ في جميع الميادين بالرّغم من الحملات العسكرية المرينية الثّلاث، المستهدفة لها على مراحل متقطعة آنذاك.

ولمعالجة هذا الموضوع تمّ الاعتماد على نوعين من المصادر: أولاهما المصادر المادّية، وقوامها أربع (04) عيّنات أثرية تمثّلت في: شاهد قبر باسم الرّصاع "يوسف بن محمد الأنصاري"، المحفوظ بالمتحف العمومي الوطني للآثار بمدينة تلمسان، ومِزْوَلة مرسومة على أحد أعمدة بيت الصّلاة بمسجد سيدي الحلوي أسفل سور الحمام، ولوح الكتابة التّأسيسية الخاصّة ببناء مئذنة الجامع الكبير في ندرومة، وبقايا تُرية الجامع الكبير بتلمسان، المحفوظة بالمتحف المذكور أعلاه.

وثانيهما المصادر المدوّنة، وأبرزها كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لصاحبه محمد ابن مرزوق التلمساني، الذّي انفرد بتفاصيل حول وصف ثرية الجامع الكبير بمدينة تلمسان، ومنبر جامع العباد، لم ترد عند غيره من المؤرّخين والرّحالة في القرون الوسطى.

ومن المراجع الحديثة يمكن ذكر مدوّنات الكتابات الأثرية العربية في الجزائر بحسب تسلسلها الزّمني من الأقدم إلى الأحدث، بدءً ب: "ألْبار دوفو" (ALBERT DEVOULX) عام (1874م) حول الكتابات التّذكارية العربية والعثمانية، المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية اليوم بمدينة الجزائر العاصمة، في كتابه الموسوم بـ: "كتابات الأهالي بالمتحف الأثري في مدينة الجزائر مُلحقة بمعرض جداري بذات المدينة"[1]، حيث تضمن مائة وستّ (106)

[1] DEVOULX (A), **Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger ; suivie d'un Musée Mural à Alger**, Typographie & Lithographie A. JOURDAN, Alger, 1874.

كتابات منها ثمان وسبعون (78) كتابة باللّغة العربية، وثمان وعشرون (28) كتابة باللّغة العثمانية، أُلتقطت في وقت سابق من: مدينة الجزائر ذاتها، والمناطق المجاورة لها كشرشال، والبليدة، والمدية على وجه الخصوص.

مُمَهدا بذلك الطّريق أمام أربعة (04) أبحاث أشمل في غضون القرن الموالي (القرن العشرين المنصرم)، حيث كانت اثنتان منها في مستهل ذلك القرن على يدي باحثيْن أجنبيين، أولهما الباحث "غابريال كولان" (COLIN GABRIEL)، الذي تمكن بدوره من مراجعة عمل "دوفو" الآنف الذكر، وتنقيحه، وإثرائه بخمس وخمسين (55) كتابة جديدة، لم يسبق نشرها من قبل بالمرّة، وست وعشرين (26) كتابة أخرى، نُشرت من طرف باحثين آخرين في دوريات مُتعدّدة خلال الفترة الزّمنية، الممتدّة ما بين تاريخ صدور كتاب "دوفو" عام (1874)م، وتاريخ نشر مدوّنته عام (1901)م بعنوان: "مدونة الكتابات الأثرية العربية والعثمانية بالجزائر"[1]، حيث تضمّنت مائتان وإحدى عشرة (211) كتابة، منها مائة وثمان وأربعون (148) كتابة باللّغة العربية، وثلاث وستون (63) كتابة باللّغة العثمانية.

وثانيهما عمل زميله "مارسيي غيستاف" (MERCIER GUSTAVE)، الذي أعدّ من جهته هو الآخر جزءً جديد من هذه المدوّنة خاص بكتابات عمالة الشّرق الجزائري، حيث وجد هناك عملا تمهيديا، أعدّه من قبل المستشرق "شُربونو، أ" (CHERBONNEAU. A)، لكن هذه المرّة بعَدَدٍ أقلّ بكثير ممّا تركه "دوفو" لـ "كولان" بعمالة الوسط؛ إذ لم يتجاوز عددها الإجمالي ثمان وثلاثون (38) كتابة عربية فقط، تمّ جمعها في الفترة الممتدّة ما بين تاريخ دخول الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة عام (1837)م، وتاريخ نشرها بعنوان: "الكتابات العربية بعمالة قسنطينة"، منتصف عقد ستّينيات القرن التّاسعة عشر (19) ميلادي[2].

[1] COLIN (G), **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie; I. Département d'Alger,** Editeur Ernest LETOUX, Paris, 1901, pp VI - VII.

[2] CHERBONNEAU (A), "Inscriptions arabes de la province de Constantine", In: **Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique du Département de Constantine**, Alger, Paris et Constantine, (1856 -1857), pp 70 - 139.

فعلى منوال عمل "كولان" مع بحث "دوفو"، قام "مارسيي" بمراجعة عمل سابقه المستشرق "شُرْبونو"، حيث وسعه الأمر للتّأكّد من بقاء ثمان عشرة (18) كتابة في مكانها الأصلي من جملة الثماني والثلاثين (38) كتابة، ثمّ تنقّيح ذلك العمل، وإضافة إليه ثمان وعشرين (28) كتابة جديدة، منها اثنتان وعشرون كتابة لم يسبق نشرها من قبل مُطلقا، ورد عليه بعضها من عنابة، وتوقرت وغيرهما من بقية حواضر العمالة، وعاد سفر تلك المدونة بذلك منطويا على ست وستين (66) كتابة[1]، جميعها باللّغة العربية على خلاف لما هو مشار إليه في عنوانها الموسوم بـ: "مدوّنة الكتابات العربية والعثمانية بالجزائر، الجزء الثّاني عمالة قسنطينة".

هذا فيما يخصّ العملان المنجزان قبل الاستقلال الوطني عام (1962)م، واللّذان لحق بهما عملان آخران بعده من غير أن يُضيفا شيئا جديدا جدير بالذكر، حيث كان الأوّل منهما بمثابة أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه حلقة ثالثة في الآثار الإسلامية، تمّ إعدادها باللّغة الفرنسية، ومناقشتها عام (1961)م من طرف الأستاذ "بورويبة رشيد" حول موضوع الكتابات التّذكارية في مساجد الجزائر منذ الفتح الإسلامي حتّى عام (1861)م[2]، قبل أن يُترجم العمل إلى العربية ويُنشر لأوّل مرّة في عام (1979)م بالجزائر[3]، ثمّ يُعاد نشره مرّة ثانية بالفرنسية بعد مُضي نحو خمس سنوات عن النّشر الأوّل[4]، وقد بلغ مجموع كتاباته اثنتان وستون (62) كتابة جلّها منشورا من قبل[5] ملتقطة من اثنين وأربعين (42) معلما تاريخيا، تعدّدت صفته ما بين مسجد، وضريح (قبّة)، وزاوية، ومتحف.

أمّا العمل الآخر، فيتمثّل في عمل الدكتور "معزوز عبد الحق"، وزميليه الدّكتور لخضر درياس، اللّذان شرعَا في إعداد مدوّنة جديدة للكتابات الأثرية العربية بالجزائر، مع نهاية عقد تسعينات القرن الماضي، إلاّ أن مشروعهما المتميّز لم يُكتمل حتّى الآن، حيث صدر منه جزءين

[1] MERCIER (G), **Corpus des inscriptions arabes et Turques de l'Algérie; II. Département de Constantine**, Editeur Ernest LETOUX, Paris, 1902 pp II - III.

[2] بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، ترجمة شبّوح إبراهيم، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1979م، (تقديم المؤلّف للطّبعة العربية في نهاية الكتاب، ص 1، عمود 1).

[3] نفسه.

[4] BOURUIBA (R), **Les inscriptions commémoratives des Mosquées d'Algérie**, Office des publications universitaires, Alger, 1984.

[5] Ibid, pp 371 – 374.

فقط، خُصّص الأوّل منهما لكتابات الشّرق الجزائري، وقد تضمّن مائة وواحدة وسبعين (171) كتابة، تمّ التقاطها من اثنتا عشرة (12) مدينة بصرف النّظر عن بقاء هذه الكتابة، أو ضياعها باعتبار أنّ معظم ما جاء في هذا المجلّد قد سبق نشره من قبل بشكل جزئي متفرّق[1].

فيما خُصّص الكتاب الثّاني لمجموعة كتابات متحف تلمسان مُنفردة لوفرة عددها الهائل، حيث تضمّن مائتان وأربع وعشرين (224) كتابة كاملة، قبل أن يتوقف المشروع فجأة عند هذا الحدّ، دون تكملة كتابات معالم، وشواهد قبور مدينة تلمسان لوحدها[2]، وقد أفادتني هذه المدوّنات العامّة في حصر الكتابات التّذكارية المتضمنة لتوقيع الحرفين سواء في فترة القرون الوسطي، أو الفترة الحديثة، حيث تمّ تسجيل عشرات التّوقيعات، القابلة لإنجاز بحث أعمق، وأدق من هذا البحث مستقبلا.

وإلى جانب هذه الأعمال العامّة، يمكن إضافة بعض الأعمال الجزئية الخاصّة، المتعلّقة بشكل مباشر بعيّنات هذه الدّراسة، وأخصّ بالذّكر دراسات الباحث "شارل بروسلار" (BROSSELARD) حول كتابات أربع وأربعين (44) شاهد قبر ملتقط من المقابر الملكية الزّيانية بمدينة تلمسان (مقبرة القصر القديم، وروضة سيدي إبراهيم، ومقبرة سيدي يعقوب)[3]، وجملة الكتابات التّسجيلية، والكتابات الوقفية التّي نشرها في سبع عشرة مذكرة قصيرة بالمجلّة الأفريقية،

---

[1] معزوز (عبد الحقّ) ودرياس (لخضر)، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر؛ الجزء الأوّل كتابات الشّرق الجزائري**، نشر المتحف الوطني للآثار القديمة بمطبعة سومر، الجزائر، 2000م.

[2] معزوز (عبد الحقّ) ودرياس (لخضر)، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر؛ الجزء الثّاني كتابات الغرب الجزائري؛ الكتاب الأوّل (مجموعة متحف تلمسان)**، نشر المتحف الوطني للآثار القديمة بمطبعة سومر، الجزائر، 2001م.

[3] BROSSELARD (Ch.), "Mémoire épigraphique et historique sur les tombeaux des émirs des Beni Zayyan et de Boabdil, dernier roi de Grenade, découverte à Tlemcen", In: **Journal asiatique**, (Recueil de mémoires d'extraits et de notices relatifs à l'histoire à la philosophie aux langues et à la littérature des peuples orientaux), Imprimerie nationale, Paris, 7eme Série, Tome 07, (Janvier / Février), 1876, pp 5 - 197.

على وجه الخصوص[1]، حيث كان لهذين العملين فضل تأسيس نواة متحف الآثار الإسلامية بمدينة تلمسان[2]، والمعين الأوّل في دراسة العيّنات الأثرية الواردة بهذا التّقرير.

ومن باب المقارنة، وتوسيع أفق البحث، استعنت بكتب أخرى في صميم تخصص موضوع التّقرير، إلاّ أنّها كانت تختصّ بفضاء جغرافي، وفترات زمنية غير الإطار الزّمني والمكاني المخصص لهذا التّقرير وفي مقدمتها كتاب: الفنون والوظائف الإسلامية على الآثار العربية بأجزائه الثلاثة للمؤلّف المصري الذّائع الصّيت حسن الباشا، وكتابه الثّاني الألقاب الإسلامية في التّاريخ والوثائق والآثار، إضافة إلى مُؤَلف مصطفى حركات الموسوم بـ: "الألقاب والوظائف العثمانية على الآثار دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والتّاريخ والمخطوطات".

[1] ينظر الأعداد الآتية من المجلّة الإفريقية: – **Revue Africaine**, N° 3, années (1858 -1859, pp 81 -94, 161 – 172, 401 – 419; N° 4, (1859 -1860), pp 01 – 17, 81 – 93, 161 – 174, 241 – 258, 321 – 331 ; N° 5, 1861, pp 14 -30, 161 – 173, 321 – 336, 401 – 421; N° 6, 1862, pp 11 – 21, 161 – 172.

[2] MARÇAIS (W), **Musée de Tlemcen**; **Musées et collections archéologiques de l'Algérie et de la Tunisie**, Editeur LEROUX Ernest, Paris, 1906, pp I - III.

1). دور دراسة توقيعات الحرفيين على الآثار في تثمين البحث العلمي المعاصر:

عادة ما تشتمل بعض الكتابات الأثرية بنوعيْها التّذكارية، والزّخرفية على توقيعات الحرفيين، وأسماء الصّناع، وأسماء من صنعت لهم من نساء، وأمراء، وخلفاء، واسم من تولى الإشراف على صناعتها، إضافة إلى تاريخ الصّنع، حيث تعتبر من هذا الباب وثائق تاريخية وحضارية هامة تُعين الباحث المعاصر في الفن الإسلامي على تتبع مراحل تطوّر الجانب الفنّي والتّكنولوجي في ما أنتجه الحرفي المسلم عبر العصور، كما تفيد في التّعرف على مظاهر الحياة الاجتماعية التّي عاشها الحرفيون، الذّين أغفلت المصادر التّاريخية ذكر سِيَرهم ومناقبهم على غرار اهتمامها المميّز بسِيَر الحُكّام، والقادة العسكريين، والعلماء، والصّلحاء، وغيرهم من نخبة المجتمع[1].

علما أنّ اهتمام الباحثين المعاصرين بهذا الموضوع من أثريين، ومؤرّخي الفن لا يقتصر على محاولة ردّ الاعتبار إلى فئة اجتماعية مهمّة في مختلف المجتمعات الإنسانية لم ينصفها التّاريخ، ويوفيها حقّها، مقارنة بفئات اجتماعية أخرى كما سلفت الإشارة من قبل، وإنّما يتعدّاه إلى تأريخ آثار معمارية كانت، أو منقولة، لم ترفق بكتابة تذكارية، أو تمّ العثور عليها في طبقة أثرية يصعب تأريخها بدقة لسبب من الأسباب التّقنية، التّي يصادفها الأثري على مستوى موقع الحفر، كمشكلة تداخل الطّبقات الأثرية وتلفها بفعل الحركات الزّلزالية القديمة، أو التّنقيب الأثري الفوضوي من لدن صائدي الكنوز من المحترفين والهوّاة على قدم المساواة، أو تمّ إيداعها في وقت سابق بإحدى المتاحف منذ فترة طويلة جدّا، دون أن ترفق بتقارير أثرية توضيحية حول هوّيتها، وظروف اكتشافها، سمة جلّ المقتنيات الأثرية المودعة بالمتاحف الجزائرية على الصّعيدين المحلّي والمركزي في ظلّ الاحتلال الفرنسي (1830 – 1962)م على سبيل الذّكر لا التّخصيص والحصر.

ناهيك عن إعادة النّظر في إسناد بعض المنجزات المعمارية، والتّحف الفنّية، والقطع الأثرية، لأصحابها الحقيقيين بناء على مقارنة الأعمال الموقعة من طرف الحرفيين بأعمال أخرى مشابها لها، ولا تتضمن ما يفيد ذلك، حيث يمكن في هذا المقام الإشارة إلى عملين في منتهى الأهمية، أولاهما يتعلّق بالفخار الرّوماني المختوم (السّيجيلي)، الذّي بدأ بمشروع حفرية أثرية صغيرة في عقد ثمانينيات القرن الماضي بمدينة "لات" (LATTES) جنوب فرنسا من قِبل باحثين فرنسيين بإشراف

[1] عبد العزيز سالم، **تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، دون ذكر تاريخ الطّبع، ص 3.

الباحث "ميشيل بي" (MICHEL PY)، قبل أن يصبح اليوم مشروعا دوليا أنموذجيا بوسعه تأريخ أيّة شقفة فخارية من هذا النّوع، وتحديد ورشة تصنيعها، ووظيفتها عبر منطقة البحر الأبيض المتوسط برمته في لمح البصر، بعدما تجاوز مرحلة القاموس الورقي الخاص به المعد في بضع وعشر جزءً بعنوان مميز، مستوحى من اسم موقع الحفر ذاته: "لاتارا" (LATTARA)[1]، والاستعاضة عليه بمعالج آلي رائد: "سِيسْلات" (SYSLAT)، سرعان ما تحوّل إلى مصدر اقتباس وإلهام لمعالجات آلية مماثلة خاصّة بالمسكوكات القديمة، ونحوها مؤخّرا[2].

وثانيهما ما أنجزه الطّبيب الفرنسي في مستهلّ القرن الماضي بخصوص الخزف الإسلامي في مصر وبلاد الشّام، حيث يعتبر هذا العمل المبكّر من الأعمال الرّائدة الجديرة بالاحتذاء لدارسي الآثار الإسلامية عبر مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالرّغم مما يُسجل عليه من نقائص[3].

[1] PY (Michel) & autres, **Lattara**, Tome 6, 1993, p 5.
[2] JOCKEY (Philippe), **L'archéologie**, éditions Belin, Paris, 1999, pp 274 – 275.
[3] FOUQUET (D), **Contribution à l'étude de la céramique orientale**, Le Caire, 1900.

2). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر ومكانتها في الدّراسات المتخصصة:

سمحت لنا فرصة معاينة مقتنيات المتحف العمومي الوطني للآثار الإسلامية بمدينة تلمسان عن قرب، وقراءة الكثير من شواهد قبور مقبرة سيدي السّنوسي بالضّاحية الجنوبية الشّرقية من المدينة المذكورة، إضافة إلى تصفّح مدوّنات الكتابات الأثرية العربية في الجزائر، المشار إليها في مقدمة هذا التّقرير إلى تحديد كمّ معتبر من تلك التّوقيعات، غطّت جميع الفترات الزّمنية الممتدّة ما بين فترة القرون الوسطى والفترة المعاصرة، ونظرا لتعذّر الوقوف عندها مجتمعة في هذه العجالة، سأكتفي بذكر بعض الأمثلة منها بشكل عشوائي مع احترام تسلسلها الزّمني من الأقدم إلى الأحدث طبعا:

أ). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في فترة القرون الوسطى:

– توقيع الجامع الكبير بمدينة قسنطينة في العهد الزّيري – الحمّادي–: وقد جاء مدوّنا على إفريز من الجص هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم عمل مناد سنة 455هـ"[1].

– توقيع منبر الجامع الكبير بالعاصمة: يشتمل هذا المنبر المرابطي على توقيع بإطار مدخل الدّرج، هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم أتم هذا المنبر في أول شهر رجب الذّي من سنة تسعين وأربعمئة .عمل محمد"[2].

– توقيع محراب الجامع الكبير بمدينة قسنطينة: نُفّذ على مادة الجص، وهذا نصّه: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما، هذا عمل محمد ابن [كذا] بوعلي الثّعالبي سنة ثلاثين وخمسمئة"[3].

---

[1] معزوز (عبد الحق) ودرياس (لخضر)، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر**، الجزء الأوّل، 2000 ، ص131.

[2] COLIN, Op.cit, p 1.

[3] بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية بالمساجد الجزائرية**، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1979، ص 71.

ب). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في الفترة الحديثة (الفترة العثمانية):

– لوح رخامي كان مثبتا بأعلى المدخل الخارجي للقلعة العثمانية في قصبة مدينة الجزائر، تضمن كتابة تذكارية، تتكوّن من ثمانية أسطر، منها الأسطر السّتة الأولى مدوّنة باللغة العثمانية، فيما دُوّن السّطران الأخيران المشتملان على توقيع الكاتب باللّغة العربية، ونصه: "...كاتب الحروف محمد بن خضر غفر الله له ولوالديه سنة 1000 [هـ]"[1].

– لوح رخامي آخر كان موضوعا على مدخل الدّائرة العسكرية بمدينة الجزائر، نقشت أحرف كتابته التّذكارية باللغة العربية، حيث اشتملت على توقيع هذا نصه: "تم بناء دار من أحسن الدّيار باليمن واليسار للعسكر الحرار أيام تبليغ المراد دولة مولانا مرادغي زمان الباشا حسين لا زال مبسوط اليدين على يدي موسى اليسري الأندلسي الحميري عام ثلاثين وألف وسبعة بحسن وصف من هجرة المختار صلى عليه البار مادامت الجزائر تعمرها العساكر"[2].

– لوح رخامي محفوظ بالمتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية بمدينة الجزائر العاصمة دائما، انتزع من بوابة الأميرالية القديمة، أو كما كانت تعرف باسم "بوابة الجهاد"، حيث اشتمل على كتابة تأسيسية، تتضمن توقيعا هذا نصه: "...تمه المعلم موسى الأندلوسي الفريد فالله يجزيه جمع مجامع الرشد وذلك في دولت (كذا) مولانا حسين باشا أيده الله ..."[3].

ج). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في الفترة المعاصرة:

– توقيع منبر مسجد سيدي عقبة الفهري: أُتخذ هذا المنبر من مادة الخشب، وقد تضمن على مستوى الإطار الدّاخلي لواجهته كتابة تذكارية، حملت توقيع صانعه هذا نصه: "عمل عليّ بن محمد الساسي التغزوتي في 21 رجب سنة 1274 تاب الله عليه آمين...هذا منبر سيدي عقبة

[1] COLIN, Op.cit, pp 27-28.
[2] Ibid, p 35.
[3] COLIN, Op.cit, pp 37-38.

الصّحبي تم صنعه على يد المكرمين السيد بلقاسم بن الحاج وابنه السيد الأكحل عام 1274من الهجرة"[1].

– كتابة مدخل الجامع العتيق ببرج ابن عزوز*: قوامها لوحة من الجصّ، موضوعة فوق مدخل المسجد، حيث تضمنت توقيعا باسم الحرفي الذّي بناه، هذا نصها: "لقد تم بناء المسجد على يد السيد محمد العيد بن محمد السّوفي القماري 24 رجب الفرد عام 1339 من الهجرة النبوية..."[2].

– الكتابة التّأسيسية بمسجد سيدي المبارك ببسكرة: تضمنت توقيعا هذا نصه: "...وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد (السعيد) بن عمر الصفاقسي رحمه الله والناقش لهذه الأسطى الصديق بن المروك (كذا) بن الطيب رحمه الله"[3].

[1] عبد العزيز شهبي، **مساجد أثرية في منطقتي الزّاب ووادي ريغ**، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1985، ص 108.

* يسمى أيضا مسجد سيدي الحافي نسبة إلى الولي الصّالح سيدي الحافي المدفون بهذا المسجد، الذي يقع في بلدة سيدي عقبة على بعد عشرة (10) كيلومتر جنوب شرقي مدينة بسكرة، أكثر تفاصيل حول هذا المعلم التّاريخي ينظر: الشّهبي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 31.

[2] الشّهبي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 33.

[3] معزوز ودرياس، مرجع سابق، ص 69.

3). وصف عيّنات الدّراسة:

أ). شاهد قبر الرّصاع يوسف بن محمد الأنصاري (الصّورة: 01):

الصّورة (01): شاهد قبر المعلم يوسف بن محمد الأنصاري، تصوّير الدّارسة.

مادة الصّنع: حجر رملي

الأبعاد: الارتفاع: 70سم[1]، العرض: 40سم[2] ، السّمك: 4سم.

نوع الخط: مغربي

تقنية الحفر: حفر بارز

عدد الأسطر: 9 أسطر

التّاريخ: 741هـ/ 1340م

مكان الحفظ: مخزن المتحف الوطني العمومي للآثار الإسلامية بمدينة تلمسان

رقم الجرد: 068/E

[1]يذكر معزوز ودرياس في مؤلفهما السّابق: "جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر"، الجزء الثّاني، ص20، بأن أبعاد الشّاهد: 68 × 40سم.

[2]بينما يذكر: « MARÇAIS, «six inscriptions…, op cit, p 544 أن أبعاده: 68 × 38سم.

الوصف: شاهد قبر من الحجر الرّملي، مستطيل الشّكل، أبعاده: 70 سم × 40 سم × 4 سم، نُفذت كتابته على فضاء مقدار مساحته المهيئة للكتابة: 48 سم ×40 سم، حيث تتألف من تسعة أسطر مدوّنة بخط مغربي، منفذة بتقنية الحفر الغائر على أرضية خالية من الزخرفة، ارتفاع صواعدها: 3.8 سم، وطول نوازلها: 1.5سم.

تفكيك نص الكتابة: (الشّكل: 01)

- الحمد لله وحده هادا (كذا) ضريح المعلم
- الصالح الرصاع المبارك يوسف
- بن محمد الانصاري الجزيري رحمه الله
- تعالى ونفع به وهو الذي صنع
- جملة من المنابر منها منبر العباد
- نفعه الله بذالك (كذا) وتوفي يوم
- الاثنين الثالثة عشر لمحرم عام أحد
- وأربعين وسبعماية وكان سكناه بمراكش
- رحمه الله ورحم من دعا له بالرحمة

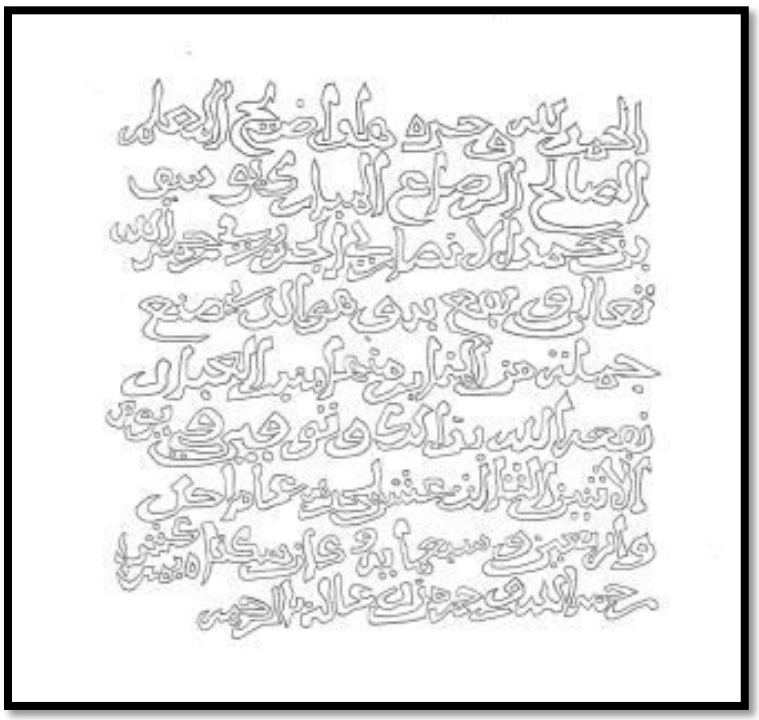

الشّكل (01): تفريغ لنصّ شاهد قبر المعلم يوسف بن محمد الأنصاري، إنجاز الطّالبة.

ب). مِزْولة[1] جامع سيدي الحلوي[2] (الصّورتان: 02 – 03):

الصّورتان (02 – 03): منظر تفصيلي لمزولة جامع سيدي الحلوي، تصوّير الدّارسة.

[1] جاء لفظها من كلمة الزّوال أي منتصف النّهار، وقد سُميت أيضا بالسّاعة الشّمسية، وهي عبارة عن لوحة من الرّخام أو الحجر الرّملي، تتضمّن خطوطا ومنحنيات لحساب ميلان الشّمس عن كبد السّماء، حيث توضع قبالة الشّمس لضبط مواقيت الصّلاة، وساعات اليوم من خلال انكسار ظل القائم المعدني الذّي تشتغل به، أكثر تفاصيل حول هذه الأداة الفلكية ينظر:

JARRAY (Fathi), «Mesurer le temps à Tunis et à Tlemcen au VIII^{ème} / XIV^{ème} siècle d'après l'étude des deux Mizwalas des deux villes», In: Actes du colloque international: **L'islam au Maghreb et rôle de Tlemcen**, 21-23-Mars 2011, p 1.

[2] ينسب هذا المسجد إلى الشّيخ العالم أبي عبد الله الشّوذي، الذّي تولى القضاء في إشبيلية، قبل أن ينتقل إلى مدينة تلمسان، ويستقرّ بها، وقد لقب بالحلوي لأنّه كان يصنع الحلوى ويبيعها لأبناء الحي، ينظر:

BROSSELARD (Ch), «les inscriptions arabes de Tlemcen» In: **Revue Africaine**, N° 4, 1860, pp 161-162.

مادة الصّنع: رخام محلّي من نوع "الأنيكس"

الأبعاد: 22 سم× 2 سم

نوع الخط: كوفي مورق

تقنية تنفيذ الخط: الحزّ

عدد الأسطر: سطرا واحدا

التّاريخ: ذو القعدة سنة 747هـ [1346]م

الوصف: اشتملت المزولة المرسومة على عمود رخامي ناصع البياض، تتخللّه عروق بنّية اللّون (الشّكل: 02) على توقيع صانعها، حيث نُفذ عن طريق تقنية الحزّ بخط كوفي مورق، انتهت فيه أطراف الحروف بزخارف محوّرة في هيئة مراوح نخيلية، أبعادها: 22 سم × 2سم، وارتفاع صواعدها: 1.5سم، أما نوازلها فقد كانت أبعادها: 0.5سم.

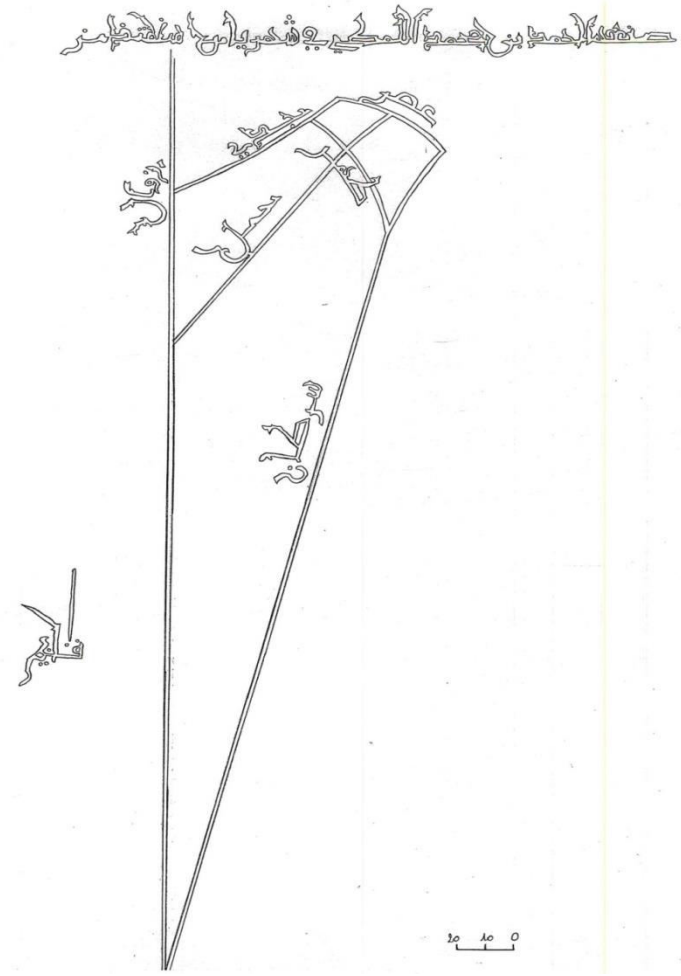

الشّكل (02): تفريغ لمزولة جامع سيدي الحلوي، إنجاز الطّالبة.

اتخذت المزولة شكلا بسيطا، وقد اقتصرت مواقيتها على صلاتيْ ما بعد الزّوال (الظّهر والعصر)، إذ تتألف من منحنى الظّهر الذّي يقع مباشرة بعد خط الزّوال، ومنحنى العصر، حيث تقطعهما ثلاث منحنيات أخرى تلامس خط الزّوال تخصّ الأبراج الفلكية الآتية: الجدي، والحمل، والسّرطان؛ وإلى اليسار منها يقع مدرّج القائم المعدني المفقود الآن (الصّورة: 02) ، طوله: 3 سم؛ فيما جاء نصّ التّوقيع على الهيئة الآتية: "صنعها أحمد بن محمد اللّمطي في شهر يا من سنة **ذمز**"[1].

ج). الكتابة التّأسيسية بيمين مدخل مئذنة جامع ندرومة (الصّورتان: 04 – 05):

الصّورتان (04 – 05): الكتابة التذكارية الخاصة بجامع مدينة ندرومة، تصوّير الدّارسة.

مادة الصّنع: رخام محلّي من نوع الأنيكس.

الأبعاد: 50 × 40 سم.

نوع الخط: مغربي مورق.

تقنية تنفيذ الخط: حفر غائر لما حول الكتابة.

عدد الأسطر: سبعة (7) أسطر.

التاريخ: 749هـ / 1348م.

[1] الحروف النّخنة تشكّل تاريخ الصّنع بتقنية عدّ الجمل، حيث تمثل "يا" 10 + 1 = 11 رقم الشّهر، أي ذو القعدة، بينما تمثل الأحرف "ذمز" سنة الصّنع، أي 747هـ.

الوصف: لوحة من الرّخام، مستطيلة الشكل (الصّورة: 04)، مثبتة على يمين مدخل المئذنة (الصّورة: 05)، أبعادها: 50 سم × 40سم، حيث تتضمن كتابة من سبعة أسطر، منفذة بخط مغربي مورق على أرضية غائرة، ارتفاع صواعدها يتراوح ما بين 4 سم و6.4سم، أمّا نوازلها فهي في حدود 2سم، إذ يشغل القسم العلوي من كلّ سطر زخارف نباتية محوّرة، فيما ينتهي نصّ الكتابة بخرطوشين صغيرين، مستطيلا الشّكل بأسفل اللّوحة، أبعاد الأوّل منهما في يمين اللّوحة 10سم × 5.5سم، أما الثّاني الواقع في الجهة اليسرى المقابلة، فتقدر أبعاده بـ: 8.5 سم ×5سم، تضمنا الدّعاء بالرّحمة لأهل ندرومة جميعا على بنائهم لهذه المئذنة بتبرّعاتهم من أموالهم الخاصّة (الصّورة: 04).

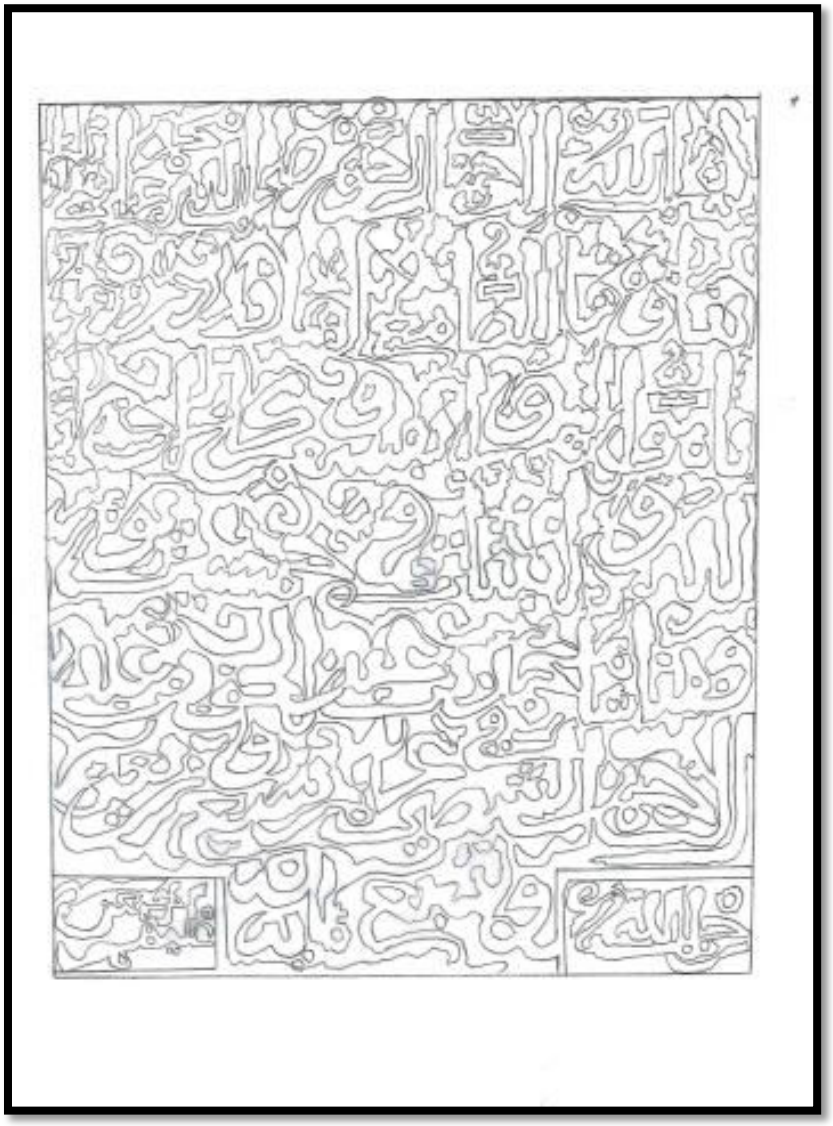

الشّكل (03): تفريغ الكتابة التّأسيسية الخاصّة بمئذنة جامع مدينة ندرومة، إنجاز الطّالبة.

تفكيك نص الكتابة (الشّكل: 03)[1]:

- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
- بناو (كذا) هاد (كذا) الصّامع (كذا) أهل ندرومة
- باموالهم وانفسهم كل باحتساب (كذا)
- لله وانبنات (كذا) في خمسين يوم (كذا)
- وبناها محمد بن عبد الحق بن عبد
- الرحمن الشيصي عام تسع (كذا) واربعين
- رحمة الله – وسبع ماية (كذا) –عليهم أجمعين.

د). بقايا ثرية الجامعة الكبير بمدينة تلمسان (الصّورة: 06):

الصّورة (06): بقايا الثّرية القديمة المقتلعة من وسط البلاطة المركزية بيت الصّلاةفي الجامع الكبير بمدينة تلمسان، محفوظة بالمتحف الوطني العمومي للآثار الإسلامية، تصوّير الدّارسة.

[1] دُوّن نصّ هذه الكتابة التّذكارية بلسانٍ عامّي خاص بمنطوق أهل ندرومة آنذاك.

مادة الصّنع: خشب، وبرونز

الأبعاد: المحيط: 7.60م، **القطر:** 2.40م، **الارتفاع:** 1.78م.

التّاريخ: /

مكان الحفظ: مخزن المتحف الوطني العمومي للآثار الإسلامية بمدينة تلمسان.

رقم الجرد: 19ML80

الوصف: تتخذ التّرية (الصّورة: 06) شكلا مخروطيا، حيث اشتملت على قاعدة خشبية مستديرة الشّكل، ومجوفة المركز، محيطها 7.60م، وقطرها 2.40م، يؤطّرها على مستوى الحافة الخارجية تسع عشرة (19) صفيحة برونزية مخرّمة، متساوية الأبعاد، حيث أبعاد كلّ واحدة منها: 37سم × 10سم، تزيّنها أشكال هندسية جدّ بسيطة، قوامها سلسلة من الأقواس المتتالية، والمتقاطعة فيما بينها (الصّورة: 06).

إذ يتفرع من القاعدة عشرة (10) أعمدة حديدية، طول خمسة منها: 1.78م، وطول الخمسة المتبقية: 1.70م، وعرض كلّ واحد منها 5سم، حيث تنتهي في الأعلى جميعا بفتحة دائرية لتجميعها في وتد مركزي واحد طوله مترا واحدا، مزود هو الآخر بحلقة للتّعليق (الصّورة: 06).

نص التوقيع: لم نتمكن من معاينة ذلك النّص بسبب ثقل التّرية وصعوبة إعادة تفكيكها بالنّظر لحالة حفظها السّيئة جدا[1]، إلاّ أنّ صانعها "محمد بن مرزوق التّلمساني"[2] أكّد ذلك في مسنده قائلا: "أما التّرية، فكان عملها على يديْ، وأنا الذّي رسمت تاريخها في أسفلها بخطّي، على ماهي عليه الآن في جامع تلمسان، وتشتمل على ألف مشكاة أو نحوها، وعهدي بقدر وزنها مرسوم في أسفلها وهي على مقدار كرم"[3].

[1] تعذر علينا فحص التوقيع عن قرب بالنّظر للحالة المزرية التي آلت إليها التّرية بعد طول إهمال على الأرض من غير حماية. الزّيارة كانت برفقة الباحث "كحيلي عبد الحكيم"، أحد إطارات ذلك المتحف في يوم الأحد 2018/03/18 في الساعة: 11:00 صباحا، وهي موثقة بتسجيل صوتي، محفوظ لدينا.

[2] حول سيرة هذا الرّجل، ينظر ترجمته في العنصر الموالي من هذا التّقرير.

[3] ابن مرزوق (محمد)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1981، ص 402.

4). التّعريف بهوية الموقعين وأبرز إنجازاتهم المعمارية والفنّية:

لم نتمكن في واقع الأمر من جمع معلومات كثيرة حول هوّية أصحاب التّوقيعات الواردة في هذا التّقرير الأوّلي، إلاّ أنّ ما توصّلنا إليه من نتائج بخصوص سِيرة، ومناقب اثنين منهم، وما ورد بخصوص انجازاتهم الحرفية، يعتبر عملا مشجعا لمواصلة البحث في الموضوع مستقبلا.

أ). يوسف بن محمد الأنصاري: هو "يوسف بن محمد الأنصاري الجزيري"، اشتهر بلقب الرّصّاع نسبة إلى حرفة التّرصيع التي احترفها وبرع فيها[1]. حرفيّ غرناطي الأصل[2]، حلّ بتلمسان قادما عليها من مدينة مراكش بجنوب المغرب الأقصى، يوم كانت حركة الورش الحرفية دائمة التّنقل بين أقطار المغرب الإسلامي الثّلاثة (أفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى)، وإقليم الأندلس في ظلّ حكم الدّول المحلّية المتقاسمة للإرث الموحدي من قبل (الحفصيون بالمغرب الأدنى (أفريقية)، والزّيانيون بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وأبناء عمومتهم المرينيون بالمغرب الأقصى) في الفترة الممتدّة ما بين القرنين (07 – 09هـ / 13 – 15م)[3]، وذلك في إطار الوحدة الفنّية التّي طبعت الفنون المعمارية والزّخرفية بالمنطقة آنذاك، المعروفة باسم "الطّراز المغربي – الأندلسي"[4]، حيث كان يقيم هناك،

---

[1] معزوز ودرياس، مرجع سابق، ج2، ص 21.

[2] مؤلف مجهول، **الذّخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كوبونيل، الجزائر، 1920، ص188.

[3] شرقي (الرزقي)، "**إسهام الحرفيين الأندلسيين في النّهضة المعمارية التّي عرفتها مدينة تلمسان إبّان القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)**" محاضرة أُلقيت بمدينة تلمسان، ضمن أشغال الملتقى الدّولي: "ثلاثة عشر قرنا من التّاريخ المشترك حوصلة واستشراف"، حيث جرت وقائعه أيام 17 – 19 أكتوبر 2011 ،في إطار فعاليات تظاهرة تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية 2011؛ منشورة في عدد خاص بمجلّة: **الإنسان والمجتمع**، مجلّة محكمة تصدرها كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة تلمسان، أغست 2013، ص 225 – 240.

[4] أكثر تفاصيل حول ظروف نشأة هذا الفنّ بتلك المنطقة، ومراحل تطوّره، وأصوله الفنّية، وأبرز خصائصه المتميّزة، وحدود امتداداته الجغرافية في أوسع امتداداته، ينظر على سبيل المثال المراجع الآتية:

-TERRASSE (H), **L'art Hispano-mauresque des Origines au 13eme Siècle,** Editions G. EVANOEST, Paris, 1932.

-RICARD (P), **Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne,** Librairie Hachette, Paris, 1924.

-ENRIQUE (S), **L'Espagne Mauresque; Cordoue, Séville et Grenade,** Traduit par: CLAUDE, (Couffon), Editions ALBIN Michel, Paris, 1964.

-GOLVIN (L), **Essai sur l'Architecture Religieuse Musulmane**. Editions Klinck sieck, Paris. Tome: 1 (Généralités), 1970; Tome: 4, 1979, Livre Cinq (L'Architecture Religieuse Hispano-mauresque jusqu'au Marinides).

بينما كانت وفاته ومراسيم دفنه بمقبرة سيدي السّنوسي، بالضّاحية الجنوبية الشّرقية من مدينة تلمسان في سنة (741هـ / 1340م)، على حدّ ما ورد في شاهد قبره من معلومات شخصية.

ذاع صيته في منطقة الغرب الإسلامي بصناعة المنابر الخشبية وترصيعها، حيث ذكر له ابن مرزوق في مسنده وصف منبر جامع العباد سبب مقْدمه فيما يبدو إلى تلمسان في فترة احتلال السّلطان المريني أبي الحسن لمدينة تلمسان (735 – 748هـ / 1335 – 1348م)، إذ قال: "...المنبر العجيب الشّكل، المؤلف من الصّندل، والعاج، والأبنوس المذهب ذلك كله..."[1].

ذلك المنبر الذّي بقي قائما بالمسجد حتّى بداية الاحتلال الفرنسي في القرن التّاسعة عشر ميلادي، حيث تمّ اتلافه في شهر يناير من عام (1836)م حينما أقبل المشير "كلوزيل" لنجدة أحد ألويته المحاصرين بداخل قلعة المشور. ففي تلك الأثناء خاف سكان قرية العباد على أنفسهم وأعراضهم، حيث نجوا بأنفسهم، تاركين مسجدهم وديارهم عرضة للنّهب والسّرقة، والحرق من قبل فلول جيش الاحتلال الفرنسي، فكان من جملة ما أتلف وحرق، منبر الجامع رغبة في أخذ عاجة، وبقية حلّيه الرّفيعة كغنيمة حرب، حيث تمّ تعويضه من قبل الأمير عبد القادر في الفترة الممتدّة ما بين (1837-1842)م بمنبر جديد أقلّ فخامة وضخامة من سابقه[2].

ب). **محمد ابن مرزوق التّلمساني:** هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد أبي بكر بن مرزوق العجيسي التّلمساني، يُكنى بأبي عبد الله، ويلقب بشمس الدّين[3]، اشتهر بلقب الجدّ، والخطيب ضمن أعلام أسرته العريقة[4]. ولد بتلمسان سنة (711هـ / 1311م)، وترعرع بها، ثم ارتحل رفقة أبيه إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فزار أكبر المدن الإسلامية ، كالمدينة المنورة ، والقدس،

-TERRASSE (H), **l'Espagne du moyen âge; Civilisation et Arts,** librairie A. FAYARD, Paris, 1966.

[1] ابن مرزوق، مصدر سابق، ص 404.

[2]MARÇAIS (W), «Six inscriptions du musée de Tlemcen», In: **Bulletin archéologique**, 1902, p 546.

[3] ابن فرحون، **الدّيباج المذهب**، دار التّرات العربي، دون ذكر تاريخ الطّبع، ومكانه، الجزء الثّاني، ص290.

[4] ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثّعالبية، الجزائر، 1908، ص 184.

ودمشق، والإسكندرية، حيث أخذ العلم عن شيوخها وعلمائها[1]. وقد ألح عليه والده للعودة إلى المغرب، إلاّ أنّه أخّره، وفضّل التّعريج على بعض الدّول، رغبة منه في طلب العلم والاستبحار فيه.

وفي (737هـ/1337م) عاد إلى مسقط رأسه فوجد السلطان المريني أبا الحسن محاصرا لها، وقد رمّم مسجد المنصورة العظيم، فولاّه منصب الخطابة فيه بعد وفاة عمه محمد ابن مرزوق[2]. لازم ابنيْ الإمام، وشارك في وقعة طريف بالأندلس مع السّلطان أبي الحسن، الذّي أرسله في بعثة ديبلوماسية إلى قشتالة لعقد معاهدة الصلح مع نصارى الإسبان، واستنقاذ ابنه أبي عمر تشفين المأسور، حيث رجع ابن مرزوق بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى إلى مدينة فاس[3].

ثم انتقل إلى تلمسان بعدما استرجعها الأخوان أبي سعيد وأبي ثابت الزيانيين، فأسر من قبلهما مدة تسعة أشهر، وذلك لعدم قبوله الصلح مع السلطان أبي الحسن، ثم أطلقوا سراحه فارتحل إلى الأندلس أين سلمه السلطان أبو الحجاج خطابة جامع الحمراء، ثم جامع غرناطة. وبعدها انتقل إلى مالقة فخطب بجامعها، ثم عاد إلى فاس بدعوة من السّلطان أبي عنان فارس قصد توجيهه إلى تونس بغرض طلب يد ابنة السلطان أبي يحي الحفصي لفائدة السّلطان المريني أبي عنان فارس، إلاّ أنّ الأميرة رفضت الطّلب[4]، ممّا اعتبر بمثابة فشل لموكل الخاطب ابن مرزوق، حيث تمّ سجنه مرّة ثانية بأمر من السّلطان أبي عنان، قبل أن يُخلى سبيله في سنة (766هـ / 1365م)، حيث التحق في إثرها بتونس، ووُليّ كرسي الخطابة بأمر من السّلطان الحفصي أبي إسحاق الخطابة بجامع الموحدين برهة من الوقت[5]، ثم انتقل إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة، حيث تفرّغ لطلب العلم، وتقلّد الوظائف العلمية الرّفيعة إلى تاريخ وفاته بها في سنة (781هـ/1379م)[6].

---

[1] ابن مرزوق، مصدر سابق، ص 22.

[2] نفسه، ص23.

[3] ابن مريم، مصدر سابق، ص 184-185.

[4] محمد بن مرزوق التلمساني، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص 307-308.

[5] ابن مريم، مصدر سابق، ص 185.

[6] نفسه، ص 186.

ساهم محمد بن مرزوق في انجاز العديد من المشاريع المعمارية المرينية التي شيدها السلطان أبي الحسن بمدينة تلمسان وأحوازها، فقد قام بشراء موضع مجاور لمسجد هنين والإشراف على عملية توسعته وتجديده، أمّا مسجد سيدي أبي مدين الذّي أشرف على بنائه عمه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، فقد أُكلت إليه مهمّة تزيين سقفه بصناعات النّجارة الرّفيعة[1]، كما كان له شرف متابعة مشروع ترميم جامع المنصورة، حيث كان موضع الثّرية الواردة بهذا التّقرير في بادئ الأمر[2].

خلّف مؤلّفات عديدة منها: المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، الذّي ألّفه بعد وفاة هذا السّلطان المريني[3]، وكتاب المناقب المرزوقية، وتيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، وعجالة المستوفر أو المستوفي[4].

[1] ابن مرزوق، المسند...، مصدر سابق، ص403 - 404.

[2] شرقي (الرزقي)، **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن(19)**، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2013، ص136.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هجري**، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2015 ، ص409-410.

[4] ابن مرزوق، المسند...، مصدر سابق، ص49.

استنتاجات
و توصیات ختامیة

5). استنتاجات وتوصيات ختامية:

أوّل ما يمكن تسجيله في هذا المقام، هو كثرة توقيعات الحرفيين على الآثار المعمارية الإسلامية بالجزائر، وتعدّد أماكن انتشارها كالمساجد على مستوى القباب، والمنابر، والمداخل، والمحاريب، والثّريات، ونحوها، فضلا عن تعدد مواد الخام المنفذة عليها بتقنيات فنّية مختلفة، كالحفر، والحزّ على الجبس، والرّخام، والخشب، والمعدن.

انطواء تلك التّوقيعات على رتب وألقاب أولئك الحرفيين منها: "المعلم" لقب كثيرا ما تكرّر ذكره على الآثار العربية، إمّا كاسم لوظيفة، أو كلقب[1]، فقد أفرد للصانع الماهر الذّي يتفوّق بخبرته المهنية على غيره من الصّناع، أو كان بمثابة معلم لغيره من أبناء حرفته. وقد وردت هذه الصيغة على الكثير من الآثار العربية، متبوعة بأسماء صناعها من نجارين وصناع معادن، وغيرهم[2]. و"الرصّاع" نسبة إلى حرفة التّرصيع [3]، أي تطعيم الأثاث الخشبي، وتصفيحه بخام أثمن كالأبنوس، والعاج، ونحوهما[4]. و"الأسطى"، وغيرها من نعوت أرباب ومراتب الحرف آنذاك.

ورود تلك التّوقيعات مسبوقة بصيغ متعدّد لها نفس المعنى مثل: "عمل..."، أو "صنع..."، أو "تم بناء هذا...على يد..."، أو"...أنشأه ... "، أو "...كتب الحروف..."، أو"...أتم، أو تمه ..."، ويلي بعضها اسم الصانع مباشرة، مثل "مناد"، أو "بن معز بن مكحلة"، في حين تليها ألقاب في البعض الآخر، إمّا للدّلالة على المكانة المرموقة للصّانع مثل: "عمل الأستاذ... بن الأستاذ..."، وعبارة "على يد السيد محمد العيد بن محمد السّوفي القماري.."، أو للدّلالة على شدّة الورع والتّواضع لله، مثل عبارة: "عمل العبد الفقير إلى الله الغني"، في حين دقّقت بعض العبارات كلّ ما أنجزه الحرفي، أو الفنّان في منتجاته بهذه الكيفية:"كاتبه، وناقشه، وفارغه فلان..."[5]، أو "...باني المسجد...والناقش لهذه..".

---

[1] حسن باشا، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، دار النّهضة العربية، القاهرة، 1922، ج 3، ص1108.

[2] حسن الباشا، الفنون الاسلامية...، مرجع سابق، ج3، ص 1110.

[3] نفسه، ص1351-1352.

[4] معزوز ودرياس، مرجع سابق، ج 2، ص 21.

[5] شبل إبراهيم عبيد، **الكتابات الأثرية على المعادن في العصرين التيموري والصفوي**، دار القاهرة، ط 1، 2002، ص79-80.

إنّ التّوترات السّياسية النّاشبة بين ورثة الدّولة الموحدية في بلاد الغرب الإسلامي لم تؤثّر البتة على حركة الحرفيين، والصّناع للتّنقّل بحرّية بين بلدان تلك الدّول، وعرض خدماتهم الجليلة على الرّعية، وأسيادها على حدّ سواء، حيث انتهت في نهاية المطاف إلى سهر بلدان إقليم الغرب الإسلامي برمّته في بوتقة فنّية واحدة، وطراز فنّي متميّز، عُرف كما سلفت الإشارة من قبل بطراز الفن "المغربي – الأندلسي"، واتخاذه كموضة خاصّة من القرن (06هـ / 12م)، حتّى مستهل القرن (10هـ / 16م)، تاريخ التّحولات العميقة بالأندلس وتونس والجزائر بالمغرب الإسلامي على وجه الخصوص، مع بداية الاعتداءات الإسبانية والبرتغالية على السّواحل الإفريقية، والتحاق العثمانيين بتلك الأحداث. وصفوة القول، يمكن اعتبار موضوع توقيعات الحرفيين من المواضيع الجادّة التّي تحتاج إلى اهتمام أكبر.

ثبت

المصادر و المراجع

أ). المصادر العربية:

1- ابن مرزوق (محمد)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،** دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1981.

2- // // //، **المناقب المرزوقية،** دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، ط1، 2008.

3- ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،** المطبعة الثّعالبية، الجزائر، 1908.

4- ابن فرحون، **الدّيباج المذهب،** دار الثّرات العربي، دون ذكر تاريخ الطّبع، ومكانه، الجزء الثّاني.

5- مؤلف مجهول، **الذّخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،** تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كوبونيل، الجزائر، 1920.

ب). المراجع العربية:

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هجري،** عالم المعرفة، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2015، الجزء الثاني.

2- بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية،** ترجمة شبّوح إبراهيم، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1979م.

3- حسن باشا، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية،** دار النّهضة العربية، القاهرة، 1922، ج 3.

4- شبل إبراهيم عبيد، **الكتابات الأثرية على المعادن في العصرين التيموري والصفوي،** دار القاهرة، ط 1، 2002.

5- شرقي (الرزقي)، **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن(19)،** نشر ابن خلدون، تلمسان، 2013.

6- عبد العزيز سالم، **تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، دون ذكر تاريخ الطّبع.

7- معزوز (عبد الحقّ) ودرياس (لخضر)، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر؛ الجزء الأوّل كتابات الشّرق الجزائري**، نشر المتحف الوطني للآثار القديمة بمطبعة سومر، الجزائر، 2000م.

8- // // // //، معزوز (عبد الحقّ) ودرياس (لخضر)، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر؛ الجزء الثّاني كتابات الغرب الجزائري؛ الكتاب الأوّل (مجموعة متحف تلمسان)**، نشر المتحف الوطني للآثار القديمة بمطبعة سومر، الجزائر، 2001م.

ج). الرّسائل الجامعية العربية:

1- عبد العزيز شهبي، **مساجد أثرية في منطقتي الزّاب ووادي ريغ**، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1985.

د). المحاضرات العربية المنشورة:

1-شرقي (الرزقي)، "إسهام الحرفيين الأندلسيين في النّهضة المعمارية التّي عرفتها مدينة تلمسان إبّان القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)" محاضرة أُلقيت بمدينة تلمسان، ضمن أشغال الملتقى الدّولي: "ثلاثة عشر قرنا من التّاريخ المشترك حوصلة واستشراف"، حيث جرت وقائعه أيام 17 – 19 أكتوبر 2011 في إطار فعاليات تظاهرة تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية 2011؛ منشورة في عدد خاص بمجلّة: **الإنسان والمجتمع**، مجلّة محكمة تصدرها كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة تلمسان، أغست 2013، ص 225 – 240.

هـ). المراجع الأجنبية:

1. BOURUIBA (R), **Les inscriptions commémoratives des Mosquées d'Algérie**, Office des publications universitaires, Alger, 1984.
2. COLIN (G), **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie; I. Département d'Alger,** Editeur Ernest LETOUX, Paris, 1901.
3. DEVOULX (A), **Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger ; suivie d'un Musée Mural à Alger**, Typographie & Lithographie A. JOURDAN, Alger, 1874.
4. ENRIQUE (S), **L'Espagne Mauresque; Cordoue, Séville et Grenade,** Traduit par: CLAUDE, (Couffon), Editions ALBIN Michel, Paris, 1964.
5. FOUQUET (D), **Contribution à l'étude de la céramique orientale**, Le Caire, 1900.
6. GOLVIN (L), **Essai sur l'Architecture Religieuse Musulmane**. Editions Klinck sieck, Paris. Tome: 1 (Généralités), 1970; Tome: 4, 1979, Livre Cinq (L'Architecture Religieuse Hispano-mauresque jusqu'au Marinides).
7. JOCKEY (Philippe), **L'archéologie**, éditions Belin, Paris, 1999.
8. MARÇAIS (W), **Musée de Tlemcen**; **Musées et collections archéologiques de l'Algérie et de la Tunisie**, Editeur LEROUX Ernest, Paris, 1906.
9. MERCIER (G), **Corpus des inscriptions arabes et Turques de l'Algérie; II. Département de Constantine**, Editeur Ernest LETOUX, Paris, 1902.
10. RICARD (P), **Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne,** Librairie Hachette, Paris, 1924.
11. TERRASSE (H), **L'art Hispano-mauresque des Origines au 13eme Siècle,** Editions G. EVANOEST, Paris, 1932.
12. - // // //, TERRASSE (H), **l'Espagne du moyen âge; Civilisation et Arts,** librairie A. FAYARD, Paris, 1966.

و). المقالات الأجنبية:

1- BROSSELARD (Ch.), "Mémoire épigraphique et historique sur les tombeaux des émirs des Beni Zayyan et de Boabdil, dernier roi de Grenade, découverte à Tlemcen", In: **Journal asiatique**, (Recueil de mémoires d'extraits et de notices relatifs à l'histoire à la philosophie aux langues et à la

littérature des peuples orientaux), Imprimerie nationale, Paris, 7eme Série, Tome 07, (Janvier / Février), 1876, pp 5 - 197.

2- BROSSELARD (Ch.), "Les inscriptions arabes de Tlemcen", In: **Revue Africaine**, N° 3, années (1858 -1859, pp 81 -94, 161 – 172, 401 – 419; N° 4, (1859 -1860), pp 01 – 17, 81 – 93, 161 – 174, 241 – 258, 321 – 331 ; N° 5, 1861, pp 14 -30, 161 – 173, 321 – 336, 401 – 421; N° 6, 1862, pp 11 – 21, 161 – 172.

3- CHERBONNEAU (A), "Inscriptions arabes de la province de Constantine", In: **Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique du Département de Constantine**, Alger, Paris et Constantine, (1856 -1857), pp 70 - 139.

4- MARÇAIS (W), «Six inscriptions du musée de Tlemcen», In: **Bulletin archéologique**, 1902.

ز). المحاضرات الأجنبية المنشورة:

1- JARRAY (Fathi), «Mesurer le temps à Tunis et à Tlemcen au VIIIème / XIVème siècle d'après l'étude des deux Mizwalas des deux villes», In: Actes du colloque international: **L'islam au Maghreb et rôle de Tlemcen**, 21-23-Mars 2011.

ح). القواميس الأجنبية المتخصصة:

1- PY (Michel) & autres, **Lattara**, Tome 6, 1993

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

كلمة شكر وعرفان

مقدمة

1). **دور دراسة توقيعات الحرفيين على الآثار في تثمين البحث العلمي المعاصر**..... 07

2). **توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر ومكانتها في الدّراسات المتخصصة**.. 09

أ). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في فترة القرون الوسطى 09

ب). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في الفترة الحديثة (الفترة العثمانية) 10

ج). توقيعات الحرفيين على الآثار الإسلامية بالجزائر في الفترة المعاصرة 10

3). **وصف عيّنات الدّراسة** 12

أ). شاهد قبر الرّصاع يوسف بن محمد الأنصاري 12

ب). مِزْولة جامع سيدي الحلوي 14

ج). الكتابة التّأسيسية بيمين مدخل مئذنة جامع ندرومة 16

د). بقايا ثرية الجامعة الكبير بمدينة تلمسان 18

4). **التّعريف بهوية الموقعين وأبرز إنجازاتهم المعمارية والفنّية** 20

أ). يوسف بن محمد الأنصاري 20

ب). محمد ابن مرزوق التّلمساني 21

5). **استنتاجات وتوصيات ختامية** 24

ثبت المصادر والمراجع 27

فهرس الموضوعات 32